مجلة كلية الآداب.جامعة الإسكندرية ،المجلد ٧٤ ، العدد ١١٨ ، اكتوبر ٢٠٢٤

العمارة الجنائزية خلال العصر البرونزيّ الوسيط في بلاد الشام

(مدافن الحجرات نموذجاً)

Funerary Architecture during the Middle Bronze Age in the Levant: Chamber Burials as an Example.

黎凡特青铜时代中期的丧葬建筑：以墓室墓葬为例。

د. سامر بن أحمد سحله

جامعة الملك سعود – قسم الآثار

Samer Sahla (Ph.D.), King Saud University.

Ssahlah@ksu.edu.sa

تاريخ تسلُّم البحث : ٢٠٢٤/١٢/٢٤

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٤/١/٢

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث دراسة نمط من أنماط العمارة الجنائزية التي كانت سائدة خلال عصر البرونزي الوسيط في بلاد الشام، نمط مدافن الحجرات التي تم تجهيزها وتصميمها في أثناء بناء المنازل كما في أوغاريت وتل تويني ومجيدو وتل دان، كما ظهر بشكل واضح ضمن القصور العائدة لعصر البرونزي الوسيط في كلٍّ من آلالاخ وإيبلا وقطنا، وجاء تصميم هذه الحجرات وتجهزيها مختلفاً في المنازل والقصور، فقد تنوعت ما بين حجرة واحدة مسبوقة بردهة أو ممر في بعض المنازل، إلى عدد من الحجرات المسبوقة بردهة أو ممر طويل كالتي عثر عليها في قصور إيبلا وقطنا. فتمت دراسة المدافن المكتشفة في كل موقع على حدة ومن ثم مقارنتها ببعضها البعض من حيث التصميم المعماري. وحاول هذا البحث أيضاً توضيح الفكرة والغاية من تشييد هذه الحجرات أسفل البيوت والقصور في بلاد الشام.

Summary:

This research deals with the study of a type of funerary architecture that was prevalent during the Middle Bronze Age in the Levant, the type of chamber burials that were prepared and designed during the construction of houses, as in Ugarit, Tell Tueni, Megiddo, and Tell Dan. This style of funerary architecture was not limited to houses, but rather appeared. Clearly within the palaces dating back to the Middle Bronze Age in Alalakh, Ebla and Qatna, the design and equipment of

these rooms differed between houses and palaces. They varied between a single room preceded by a hall or corridor in some houses, to a number of rooms preceded by a hall or long corridor such as those found. On it in the palaces of Ebla and Qatana. The tombs discovered in each site were studied separately and then compared with each other in terms of architectural design. This research also attempted to clarify the idea and purpose of constructing these rooms under houses and palaces in the Levant.

الكلمات الدالة:

برونزي وسيط، العمارة جنائزية، مدافن الحجرات، أوغاريت (راس الشمرة)، قطنا (تل المشرفة)، آلالاخ (تل عطشانة)، مجيدو (تل المتسلم)، إيبلا (تل مرديخ)، تل تويني، الكيسبو.

المقدّمة:

منذ عصور ما قبل التاريخ بحث الإنسان عن طُرق و وسائل مختلفة لحماية موتاه، فاختلفت الخطوات التي اتّخذها لمعالجة الموتى سواءً في طقوس الدّفن، أو نوع المدفن، أو أماكن الدّفن التي كان لها أهميّة خاصّة في تحديد ماهيّة العلاقة بين الأحياء والأموات، فمن خلال تتّبع أماكن الدّفن ونوع المدافن خلال عصور ما قبل التّاريخ في منطقة بلاد الشام، يمكن القول بأنّ الإنسان حاول الإبقاء على بعض الأشخاص من ذوي المكانة الاجتماعيّة في مكان قريب منه، وهذا ما نلاحظه في العديد من المواقع العائدة للعصر الحجريّ الحديث والنّحاسيّ، فهناك المدافن البسيطة التي وجدت خارج حدود الموقع أو ضمن المنطقة السكنيّة، بينما عثر على مدافن أخرى تحت الأرضيّات الجصيّة للمساكن كما في المريبط وأريحا وأبو هريرة (والتي يمكن تسميتها بمدافن الغرف أو الحجرات) والتي ترافقت مع طقوس خاصّة كإعادة تشكيل الجماجم الأدمية(جاك،كوفان،١٩٩٩،٥٦).

وبالانتقال إلى العصر البرونزي القديم ومع بداية ظهور المدن والممالك خلال مطلع الألف الثّالث تمّ تشييد حجرات الدّفن أسفل بعض المنازل والقصور كما في تلّ خويرة، وتلّ البنات، وموقع جرابلس التّحتاني (Yilmaz, D. 2006:82)، وقد تميّزت هذه المدافن بأنّها كانت ملكاً للعائلات ذات المكانّة الخاصّة في المجتمع وذلك من خلال المرفقات الجنائزيّة المهمّة التي تضمّنتها، والتي تدلّ على الوضع الاجتماعي للمتوفّى (W.Orthmann, 1995:123).

وبحلول العصر البرونزيّ الوسيط في بلاد الشّام (٢٠٠٠-١٥٠٠ قبل الميلاد) أصبحت عبادة الأجداد مبدءاً أساسيّاً يميّز عمارة المدافن المحلّية في بلاد الشّام، وتمّ بناء مقابر الحجرات بشكل يدلّ على التّطوّر المعماري، ويشمل الأبعاد الاجتماعيّة لسكّان ممالك العصر البرونزي الوسيط، اللذين بنوا مدافن الحجرات بطرقٍ مختلفةٍ، (خارطة ١)

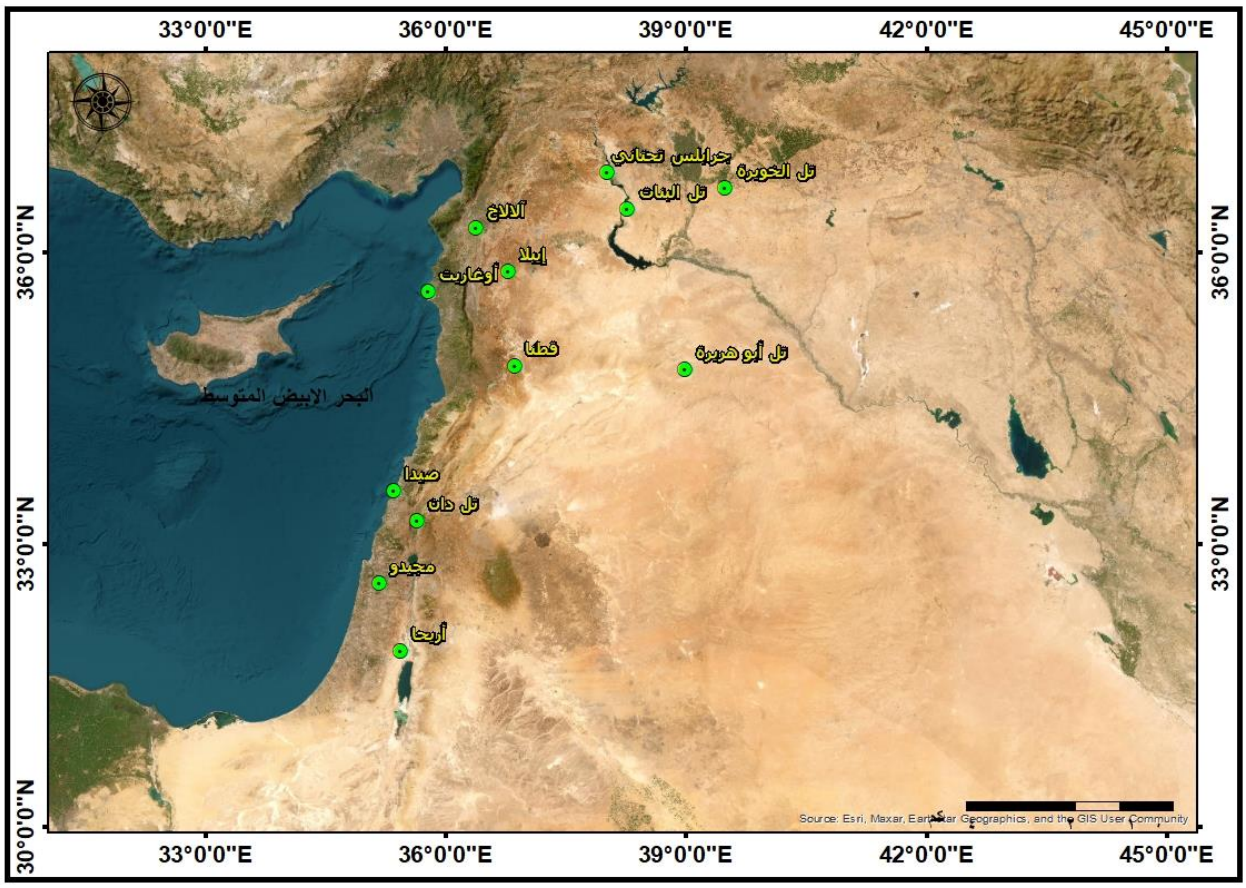

خارطة رقم ١: المواقع الأثرية في بلاد الشام ذات العلاقة بالبحث

أهمية البحث:

تُعد دراسة العمارة الجنائزية جانباً مهماً جداً من جوانب دراسة الأنماط المعمارية المختلفة ضمن المدن خلال العصور التاريخية القديمة، فالإمكان توزعها أهمية خاصة بالنسبة للتنظيم العمراني. كما أن لدراسة المدافن سواء من حيث البناء أو ما تحتويه من الأدوات الجنائزية أهمية بالغة لما تقدمه من معلومات عن المجتمعات القديمة على الصعيد التقني (تقنيات البناء والتخطيط) والاجتماعي لتحديد الهوية

الثقافية المرتبطة بهذه الممارسات الطقسية. هذا إلى جانب أهميتها الكبيرة في فهم الجانب الديني وعلاقة الإنسان بموتاه في هذه المجتمعات، الأمر الذي دفع السكان إلى محاولة بناء مدافن بأنماط معمارية مختلفة لكل منها شكلها وأهميتها وأسبابها الخاصة.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى دراسة النمط المعماري الخاص بمدافن الحجرات خلال فترة العصر البرونزي الوسيط في بلاد الشام، ، وتصنيفها من حيث أماكن تواجدها وأسلوب البناء والتقنيات المتبعة في تصميمها ،وهل هناك اختلاف بين المدافن المكتشفة أسفل المنازل أو القصور؟ وتتبع انتشارها ضمن النطاق الجغرافي الواسع لمنطقة بلاد الشام، في محاولة لفهم الغاية من استخدام هذا النوع من المدافن ، هل كانت أماكن مخصصة للدفن فقط أم استخدمت كأماكن لممارسة طقوس جنائزية خاصة بعبادة الأسلاف و أسباب انتشاره ضمن الممالك والمدن العائدة للعصر البرونزي الوسيط.

منهجية البحث:

يتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسة مدافن الحجرات وأشكالها المعمارية (موضحة بالصور والأشكال)، إضافة إلى اعتماد المنهج المقارن للتعرف على أوجه التشابه والاختلاف، من حيث التصميم المعمارية من موقع إلى آخر في بلاد الشام مما يساعد على تحديد السمات الحضارية لها. ستقوم الدراسة على تحليل مدافن الحجرات التي كانت منتشرة خلال العصر البرونزي الوسيط في منطقة بلاد الشام.

الدراسات السابقة:

تناول علماء الآثار دراسة العصر البرونزي الوسيط في بلاد الشام على نطاق واسع من خلال التنقيبات في المواقع الأثرية العائدة لهذه العصر. ومن أهم الدراسات العائدة لهذا العصر تلك التي كانت في موقع أوغاريت (تل رأس الشمرة)، حيث بدأت التنقيبات الأثرية منذ عام ١٩٢٩م برئاسة كلود شيفر والذي استمر حتى عام (١٩٧٠م). واستمرت التنقيبات بعد ذلك برئاسة هنري دوكونتينسون (١٩٧٢-١٩٧٣)، ثم يفيس كالفيت وبسام جاموس عام (٢٠٠٠م)، ومن ثم فاليري ماتون وجمال حيد (٢٠٠٠-٢٠١٠م). سُكن

الموقع منذ الألف السابع قبل الميلاد، وقد بلغ أوج ازدهاره في عصر البرونز الحديث (مرعي، عيد، ٢٠١٠:70)، نتج عن تلك التنقيبات العديد من الدراسات والأبحاث المتعلقة بالعمارة الجنائزية في أوغاريت، ومنها ما نشره (Teba, T) عام ٢٠١٥ ضمن مقالة عن العمارة الجنائزية في أوغاريت وكيفية اعادة تأهيل الموقع.

كما أظهرت تنقيبات في موقع تل تويني العديد من المدافن العائدة لعصري (البرونزي الوسيط والحديث) وهذا ما تم ذكره في مقال:

(H. Hameeuw, 2008, Living with the dead. Tell Tweini: Middle Bronze Age tombs in an urban context).

وبالانتقال إلى موقع آلالاخ (تل العطشانة) الذي يقع قرب مدينة أنطاكيا، في الجزء الجنوبي من سهل العمق شمال غرب سورية، بالقرب من نهر العاصي، حيث قام الباحث الأمريكي ليونارد وولي بنشر أبحاثه عن التل وعمارته الجنائزية في العديد من المقالات والأبحاث منها:

(Woolley, Leonard. 1953. Reports of the Research Committee Society of Antiquaries of London).

أما في موقع قطنا (تل المشرفة) الذي يقع على بعد ١٨ كم إلى الشمال الشرقي من حمص، فقد قام ميشيل مقدسي بالتعاون مع بعثة إيطالية وألمانية بالتنقيب بالموقع ونشر عن المدفن الملكي في العديد من المقالات منها:

(Al-Maqdissi. M and D. Morandi Bonacossi, 2005, the Metropolis of the Orontes. Art and Archaeology from the Ancient Kingdom of Qatna.)

بالنسبة لمملكة إيبلا (تل مرديخ) الذي يقع على بعد ٧٠كم جنوبي مدينة حلب، بدأت عملية التنقيب فيه عام ١٩٦٤م من قبل بعثة إيطالية بإدارة العالم باولو ماتيه الذي قام مع فريقه بدراسة ونشر العديد من الأبحاث عن مكتشفات مملكة إيبلا وعمارتها الجنائزية ومن هذه الأبحاث:

(Matthiae, P. 1984, New Discoveries at Ebla: The Excavations of the Western Palace and the Royal Necropolis of the Amorite Period. Biblicale Archaeologist).

أما في منطقة جنوب بلاد الشام فقد تمت دراسة موقع م مجيدو (تل المتسلم) الواقع في فلسطين والذي يُعد من أهم المواقع العائدة لعصور البرونز وقد تم نشر العديد من الأبحاث المتعلقة بالعمارة الجنائزية في هذا الموقع منها:

(Martin, Mario A.S. and Melissa S. Cradic 2018 Area K: Tomb 100. In Megiddo VI: the 2010–2014 Seasons).

جميع هذه الدراسات قامت بوصف العمارة الجنائزية بكل أنماطها لكل موقع من المواقع على حدة (خلال عصور البرونز المختلفة بما فيها العصر البرونزي الوسيط) لكن لم تختص بدراسة العمارة الجنائزية خلال العصر البرونزي الوسيط بشكلٍ منفصل، كما لم تتم دراسة مدافن الحجرات كنمط معماري مستقل، ولم تختص بجمع وتصنيف وتحليل ومقارنة هذا النمط المكتشف في المواقع المختلفة في بلاد الشام، وللإحاطة بهذا الموضوع من جميع جوانبه لابد من دراسة التفصيلات المعمارية لهذه المدافن والتقسيمات التابعة لها، وبهذا البحث سنختص بدراسة مدافن الحجرات فقط هذا النمط من العمارة الجنائزية وتوصيفه في كل موقع على حدى ومن ثم محاولة لمقارنته مع بعضها البعض وجمعها لتحديد السمات المعمارية العامة لهذا النمط ودراسة الغاية الوظيفية له.

تعريف بالعصر البرونزي الوسيط:

يتناول لبحث الفترة الزمنية الممتدة بين عامي (٢٠٠٠-١٦٠٠ ق.م) والتي اصطلح على تسميتها بعصر البرونزي الوسيط. ويقسم إلى عصر البرونزي الوسيط الأول (٢٠٠٠-١٨٠٠ق.م)، وعصر البرونزي الوسيط الثاني (١٨٠٠-١٦٠٠ ق.م).

ويتميز هذ العصر بتعقيده وخصوصيته على صعيد الأحداث التاريخية والمنجزات الحضارية، فقد ظهرت العديد من ممالك المدن التي كانت لها تأثيرٌ كبيرٌ مثل مملكة أوغاريت وإيبلا وآلالاخ ومملكة قطنا وغيرها من ممالك المدن(ابو عساف، علي، :١٩٨٨88) ، وقد شكلت هذه المدن مصدراً رئيسية للنشاط التجاري والاقتصادي من خلال علاقتها التجارية مع بلاد الرافدين ومصر والأناضول، بالإضافة للحياة الاقتصادية فقد اهتم سكان هذه الممالك بحياتهم الدينية من حيث تشييد المعابد والمدافن التي حظيت باهتمام كبير

فقد شيدت وفق تصميم مسبق، وتنوعت ما بين المدافن البسيطة التي شيدت خارج المدينة، ومدافن الحجرات التي تم تجهيزها في أثناء بناء المنزل أو القصر الذي استخدم مقراً للملوك المتوفين (احتواء القصر على القبور الملكية)، وقد اختلفت بأسلوب البناء والتصميم ويمكن القول أن هناك تقنيّتين لمباني الحجرات وهي:

أولاً: مدافن الحجرات المبنيّة بالحجارة:

هي أحد أنماط المدافن المبنيّة المكوّنة من حجرة مغلقة أو عدّة حجرات، تتميّز بتصميمها المعماريّ الخاصّ، فهي مسقوفة ويتمّ الوصول إليها عبر ممرّ، وأحياناً بشكل مباشر، وغالباً ما يتمّ بناؤها بحجارة غير مشذبه أو منحوتة، تميّزت بأنّها مدافن عائليّة فقد استخدمت بشكل متكرر، وظهر هذا النّمط من المدافن في مواقع مختلفة من بلاد الشّام المؤرّخة بالعصر البرونزي الوسيط، وقد عثر عليها في كلّ من: أوغاريت، تل تويني، صيدا، تل دان، مجيدو وغيرها (خارطة ٢).

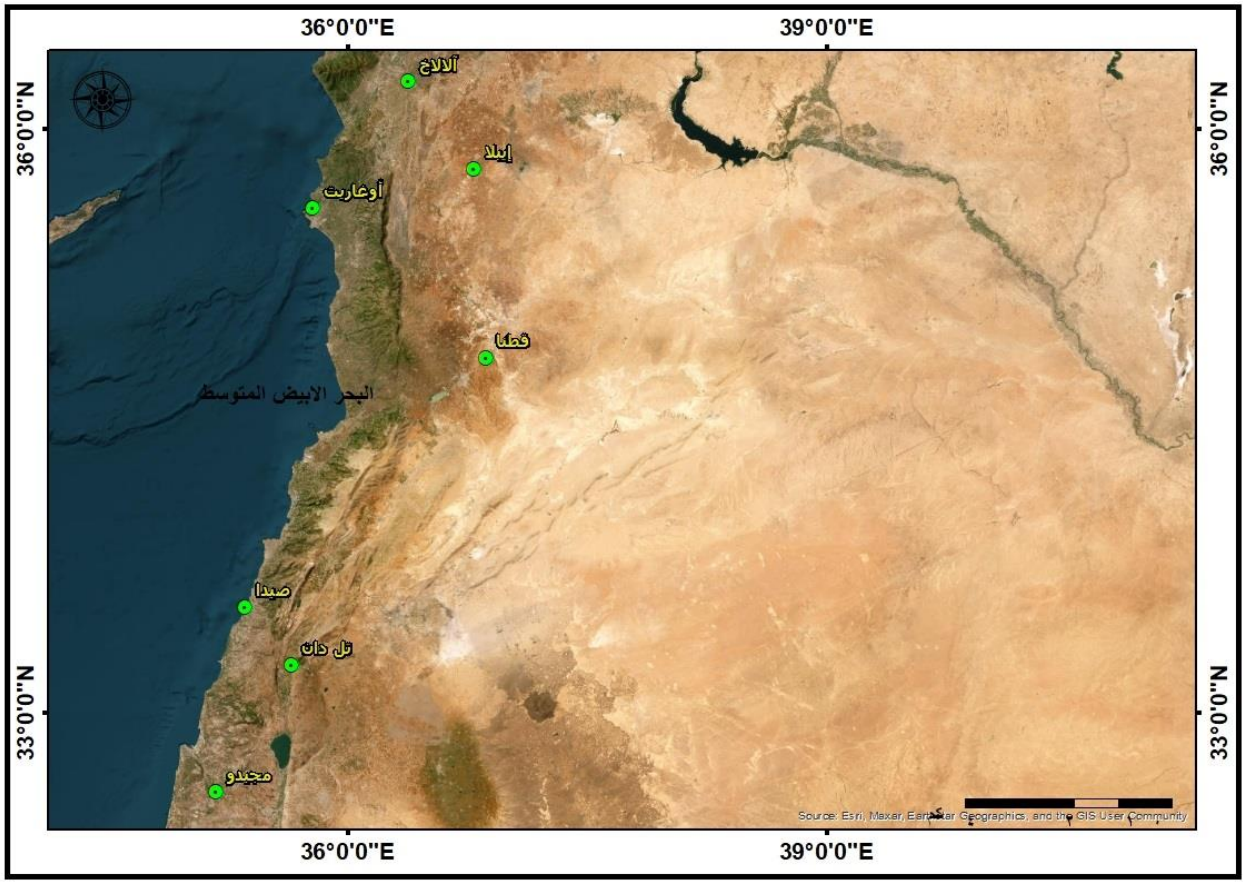

خارطة رقم ٢: توضح المواقع التي عثر فيها على مدافن مبنيّة بالحجر.

مدافن الحجرات المبنيّة تحت المنازل السكنيّة:

عثر على هذا النّمط من المدافن ضمن السّياق الحضريّ للمدن خلال العصر البرونزي الوسيط، مبنية تحت المنازل كما في مدينة أوغاريت والتي تُعدّ من أهمّ المواقع التي كشف فيها عن عددٍ كبيرٍ من مدافن الحجرات مبنيّة تحت المنازل السّكنية، فقد مثّلت ما يقارب من ٥٠% من نمط المدافن المكتشف في هذه المدينة، إذ تمّ تخطيط المنازل في أوغاريت مع الأخذ بعين الاعتبار دمج المدفن معها منذ بداية بناء المنازل، وفي حالات نادرة كان يمكن بناء المدفن تحت المسكن الموجود (T.teba,D.Theodossopoulos,2015:10) من هذه المدافن والمؤرّخة بالعصر البرونزيّ الوسيط مدفن رقم (٥٧) الذي كان يمكن الدخول إليه من خلال المنزل بشكل مباشر عبر باب مستطيل الشّكل يفضي إلى ممرّ يبلغ طوله ١.٢م وبعرض ٠.٨٥سم مؤدّياً إلى حجرة مستطيلة الشكل ١.٥٧×١.٣١م، وارتفاع ١.٩م تمّ تغطيتها بواسطة بلاطات حجريّة يزيد طولها عن ١.٣٠م مشكّلة سقفاً مستوياً، وقد دُعمت جدران الغرفة بواسطة كتل حجريّة مقطّعة ومرتّبة بشكل عموديّ، وقد عثر في أرضيّة المدفن على عددٍ من المصابيح، وشظايا مصابيح زيتيّة (Salles, J.-F. 1995:175).

يجاور هذا المدفن، مدفنٌ (٥٦) تمّ بناؤه في المنزل المجاور بحيث التقت جدران المدفنين، ولربّما كان هناك تخطيط مسبق لتشييد المدفنين فربما كانا يعودان إلى نفس العائلة. بني هذا المدفن تحت غرفة المعيشة، ويتمّ الدّخول عبر باب مستطيل وممرّ صغير إلى غرفة الدّفن ذات الشّكل المستطيل، والتي دعّمت جدرانها أيضاً بألواح تغطّيها (صورة رقم ١).

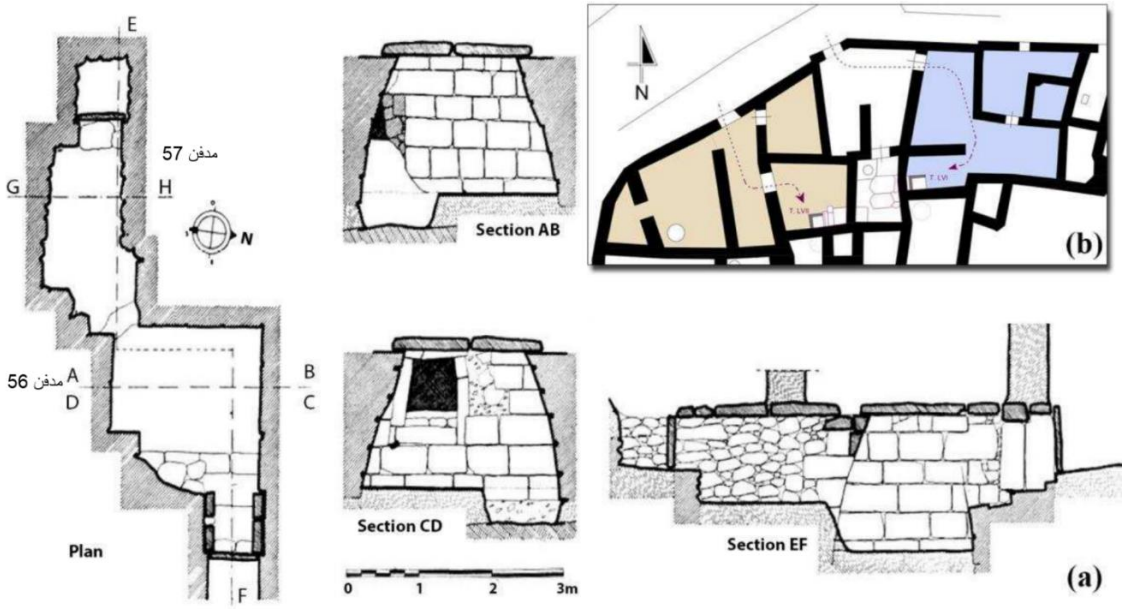

صورة رقم ١: مخطّط يبيّن التقاء جدران كلٍّ من المدفنين ٥٧ –٥٦ مع شكل السّقف المستوي في أوغاريت والمؤرّخ بعصر البرونز الوسيط

(Schaeffer 1939& T.Teba detailed drawings).

وبالانتقال إلى تلّ تويني وهو من المواقع التّابعة لمملكة أوغاريت خلال عصري البرونز الوسيط والحديث، فقد بنى سكّان هذا الموقع مدافن لهم تحت أرضيّات المنازل وجاءت بتصميم مختلف قليلاً عن تصميم مدافن أوغاريت، ومن هذه المدافن: مدفن رقم (TWE-A00170) عبارة عن غرفة بيضاويّة الشّكل بطول ٢,٦٥م والعرض ٢,٣٠م والارتفاع ١.٥م، مُشيّدة بالكامل من حجارة غير مشغولة، وحجرة الدّفن مبنيّة على شكل قبّة (صورة رقم ٢)، يتمّ الدّخول لهذه الحجرة عن طريق فتحة أبعادها ٠,٩٠ م قدر، ١,٦٠م ارتفاع (Bretschneider J. M.Al-Maqdissi,2004: 225)، وتؤدّي هذه الفتحة إلى ممرّ ضيّق أبعاده الطول ٠,٧٥ م والعرض ٠,٤٠ م مسقوف ببلاطة واحدة. ويوجد مباشرة فوق حجرة الدّفن قاع حوض مطليّ باللون الأبيض والتّربة حول هذا الحوض حمراء اللون (ربّما كان يستخدم في ممارسة طقوس الإراقة كما في مدينة أوغاريت)، كما تمّ حفر العديد من الثقوب في نهايات ألواح الغطاء الكبيرة الموجودة أعلى غرفة الدّفن ذات القبّة الحجريّة (H. Hameeuw,2008,p:147)، لربما ارتبطت هذه الثقوب بطقس الإراقة أو كانت عبارة عن عناصر هيكليّة لوضع عدد أكبر من الألواح في مكانها.

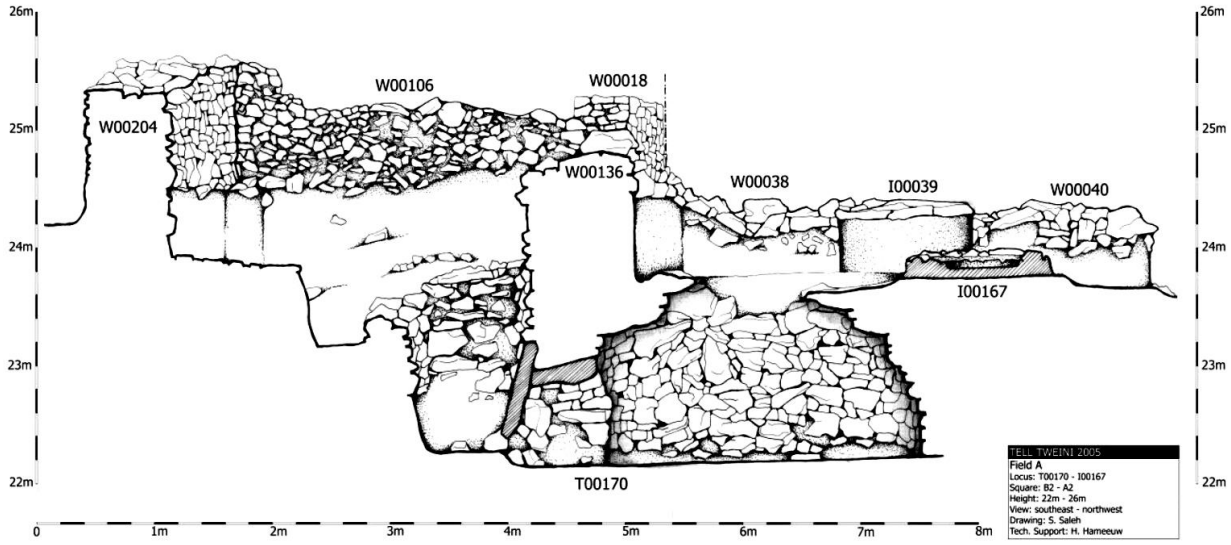

صورة رقم ٢: رسم توضيحي لمدفن تل التّويني عن (H. HAMEEUW AND G. JANS).

لم يقتصر بناء هذا النّمط من المدافن على شمال بلاد الشّام، بل انتشرت مدافن الحجرات المبنيّة في جنوب بلاد الشّام أيضاً، وقد كشفت البعثات الأثريّة عن عدد منها في مواقع مختلفة من فلسطين ولبنان، ومن أهم هذه المواقع العائدة لعصر البرونزي الوسيط تلّ دان (تل القاضي) الواقع على مرتفعات جبل الحرمون بالقرب من بحيرة الحولة في الجولان، فقد ضمّت الطبقات العائدة للعصر البرونزي

الوسيط عن عدد من المدافن المبنيّة منها مدفن رقم (٤٦٦٣) وهو عبارة عن غرفة مستطيلة الشّكل أبعادها ٣.٧٥×١.٨ م وارتفاعها ٢م (Ilan, D. 1995:120) ، وقد بنيت من الحجر الغير مشذب، ويتمّ الدّخول لها من فتحة تؤدّي إلى ممرّ يوصل لحجرة دفن مستطيلة الشّكل مبنيّة من الحجر، احتوت الحجرة على بقايا عظام بشريّة وحيوانيّة وعدد من المصابيح (صورة رقم ٣).

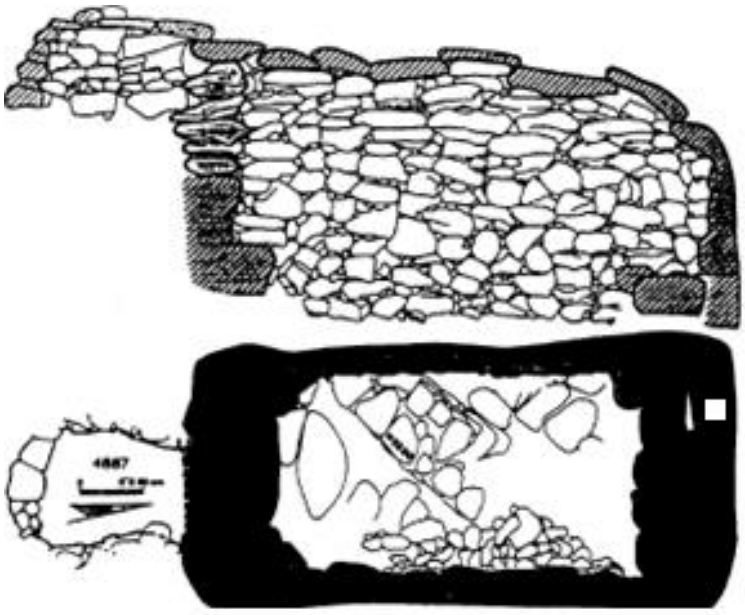

صورة رقم ٣: رسم توضيحي للمدفن (٤٦٦٣) من تلّ دان عن: Ilan, D. 1995

ومدفن رقم (٨٠٩٦) عبارة عن غرفة مستطيلة الشّكل تبلغ أبعادها (2.20× ٢,٤٠م) وتمّ سقفها ببلاطات حجريّة يتمّ الدّخول إليها عبر ممرّ مستقيم، ضمّ هذا المدفن العديد من الهياكل العظميّة (Ilan, D. 1995:121) (صورة رقم ٤).

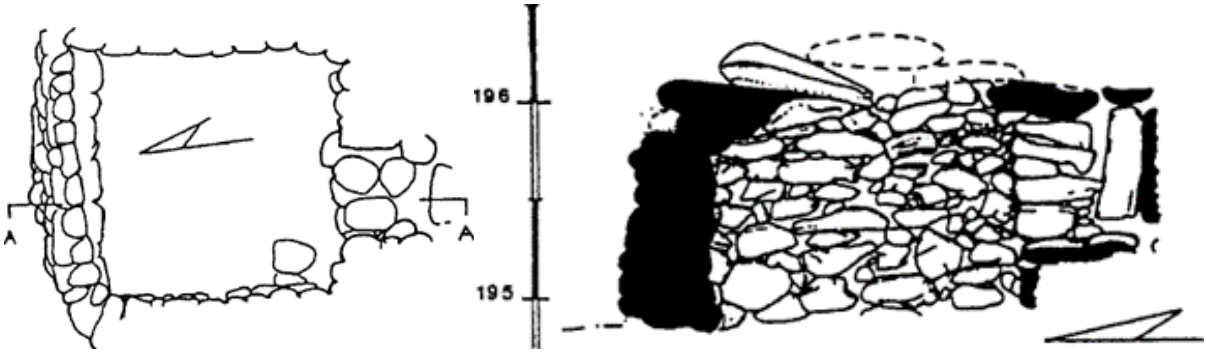

صورة رقم ٤: رسم توضيحي لمدفن رقم (٨٠٩٦)من تلّ دان عن:Ilan, D. 1995

وفي موقع مجدّو كشفت البعثة الأمريكية عن عدد من مدافن الحجرات التي تمّ تشييدها تحت الأرضيّات السكنيّة ، و من هذه المدافن مدفن رقم (١٠٠) عثر عليه تحت أرضيّة السّكن ضمن المنزل رقم (12/K/15) (صورة رقم ٥)، شُيّد المدفن من الحجر الغشيم، وقد سُقف على شكل قبوّ مقوّس (Martin, Mario A.S, 2018:90)، بلغت أبعاد الغرفة ١.٤م ارتفاع, و عرض ١.٦م و طول ١.٧م، يتمّ الدّخول إليها من مدخل يقع على الجانب الشّمالي الغربي عبر فتحة ضيّقة بعرض ٠,٥٥م. ضمّ المدفن عدداً من الهياكل العظميّة تقريباً ٢٣ فرداً تمّ دفنهم داخل الغرفة، كما تمّ الكشف عن بعض العظام الحيوانيّة التي استخدمت كقرابين .(Faerman and Smith 2018: 197)

صورة رقم ٥: المدفن رقم ١٠٠ قبل الكشف عنه بشكل كامل، تظهر الأرضيّة البيضاء للغرفة رقم ١٢/k/88 Faerman and Smith 2018

كما ضمّ المبنى (H/87/14) الذي يتميّز بأرضيّات متعرّجة، منشآت للطبخ، وغرف تخزين، على المدفن رقم (٥٠) الذي يعتبر من مدافن الحجرات الضخمة المبنيّة من الحجارة المكتشفة في مجدّو، يتكوّن من ممرّ ضيّق ينحدر نزولاً من الجنوب إلى الشّمال، ممّا يؤدّي

إلى حجرة دفن مستطيلة (عرض ١,٥م× ٢.٣٥م طول× ١.١٥م ارتفاع) يتألّف السّقف الجملوني الشّكل من أربعة ألواح من الحجر الجيري (صورة رقم ٦) (Homsher,٢٠١٢:15).

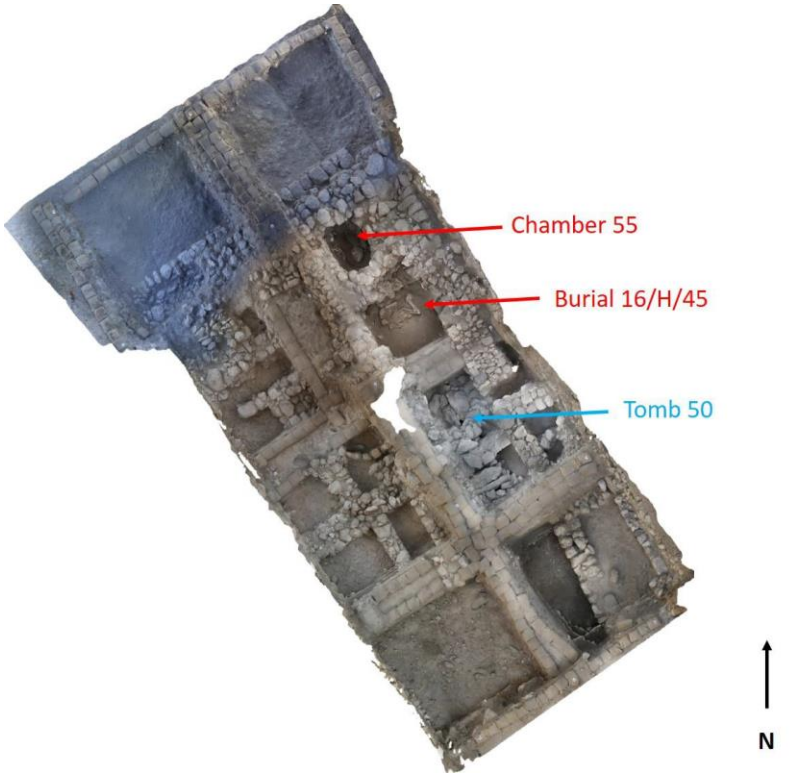

صورة رقم ٦: مخطّط يبين انتشار مدافن الغرفة ضمن المنازل في مجدّو Homsher,٢٠١٢.

١- مدافن الحجرات المبنيّة تحت القصور:

لم يقتصر تقليد بناء المدافن على المنازل فقط، فقد كان هذا النّمط المعماريّ سائداً أيضاً ضمن القصور المؤرّخة بفترة البرونز الوسيط كما في مملكة آلالاخ، فقد ضمّ القصر الملكي العائد للملك ياريم-ليم مدفناً ملكياً تمّ بناؤه في أثناء تشييد القصر، ويقع بالقرب من المدخل في الجزء الجنوبيّ الشرقيّ من القصر (صورة رقم ٧).

صورة رقم ٧: مخطّط القصر الملكيّ في آلالاخ يظهر القاعة ١٧ المخصّصة للدفنWoolley 1953.

حيث تؤدّي مجموعة من الدّرجات المشيّدة من الطّوب والمصقولة بالجصّ الأبيض إلى مدخل يتكوّن من الدعائم والعتبة من لوح واحد من البازلت المنحوت بدقّة، والباب أيضاً عبارة عن لوح من البازلت تبلغ أبعاده (١.٠٧م ارتفاع× ٠,٨٥م عرض)، يتمّ فتحه إلى الدّاخل، ويتمّ ربطه بواسطة مسمار مثبّت في فتحة في عتبة الباب، يفضي الباب إلى غرفة مربّعة الشّكل ذات أرضيّة مبلّطة بشكل غير عادي (صورة رقم ٨)، وقد بنيت جدران الغرفة من ثلاث طبقات من الحجارة والبازلت) (Woolley 1953: 96) ، يبلغ ارتفاعها ١,٦٥م.

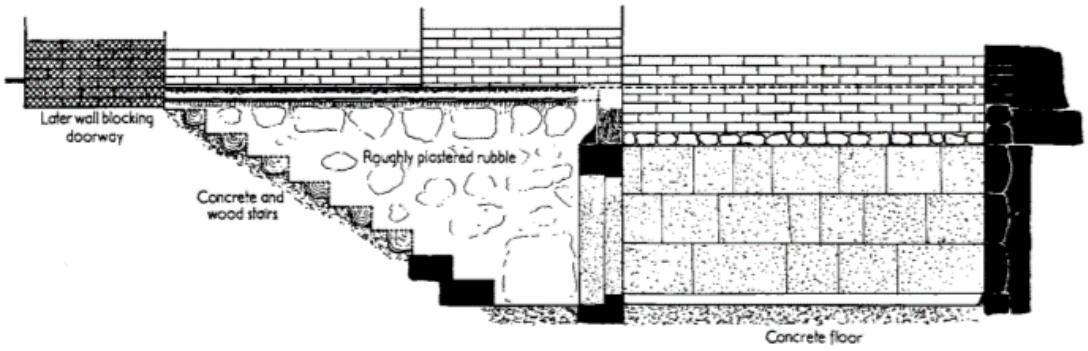

صورة رقم ٨: رسم توضيحيّ يبيّن تصميم المدفن غرفة ١٧ ضمن القصر الملكي في آلالاخ.Woolley ,1953

ضمّ الركن الشّمالي من المدفن بقايا رماد خشبيّ والعديد من عظام الحيوانات المحروقة، بالإضافة لصندوق خشبيّ ضمّ بقايا أربعة هياكل عظميّة.

ثانياً: مدافن الحجرات المنحوتة في الصخر:

ظهر خلال عصر البرونز الوسيط نمط ثانٍ من مدافن الحجرات، وهي المدافن التي تمّ نحتها بالصخر، أو نحت جزءٍ منها، ومن المحتمل أنّه قد تمّ حفرها في عصور سابقة، وأعيد استخدامها خلال العصر البرونزي الوسيط ومن هذه المواقع:

موقع إيبلا: فقد عثر تحت أرضيّة القصر الملكي (Q) على مجموعة من المدافن تقع أسفل المنطقة الشرقيّة والوسطى للقصر (Q) وهي عبارة عن مجموعة من تجاويف كهوف استخدمت كمدافن (صورة رقم٩)، وقد ضمّت ثلاثة مدافن رئيسة تمّ الرّبط بينها بواسطة ممرّات معقّدة، يتمّ الدخول إليها عبر ممرّ طويل ذي درجات يتمّ الوصول إليه من إحدى غرف القصر ومن هذه المدافن:

- مدفن الأميرة ويؤرّخ فيما بين ١٨٢٥-١٧٥٠ ق.م، تمّ حفره عن طريق قطع ممرّ في الصّخر، وبناء جدار من الحجر والطّوب في الجانب الشّمالي من المدفن ليتمّ فصله عن المدافن الأخرى.
- المدفن الثّاني (سيد الماعز) (Matthiae 1984: 149-184) يؤرّخ فيما بين ١٧٧٠ -١٧٦٠ ق.م، تميّز هذا المدفن بمدخله العمودي والذي يفضي إلى حجرة دفن مربعة الشّكل (Q.78.B2) يليها غرفة صغيرة للهدايا والقرابين ومن

ثمّ حجرة دفن نُحتت بشكل نصف دائريّ، ويعتبر هذا المدفن هو الأكبر والأغنى ضمن مجموعة المدافن التي عثر عليها تحت القصر (Q).

- الجناح الثّالث ضمّ مدفن (الصّهريج)، ويعتقد أنّ هذا المدفن كان يستخدم كمخزن في فترة سابقة وأعيد استخدامه كمدفن، وقد ضمّ حجرتيّ دفن دائريتيّ الشّكل.

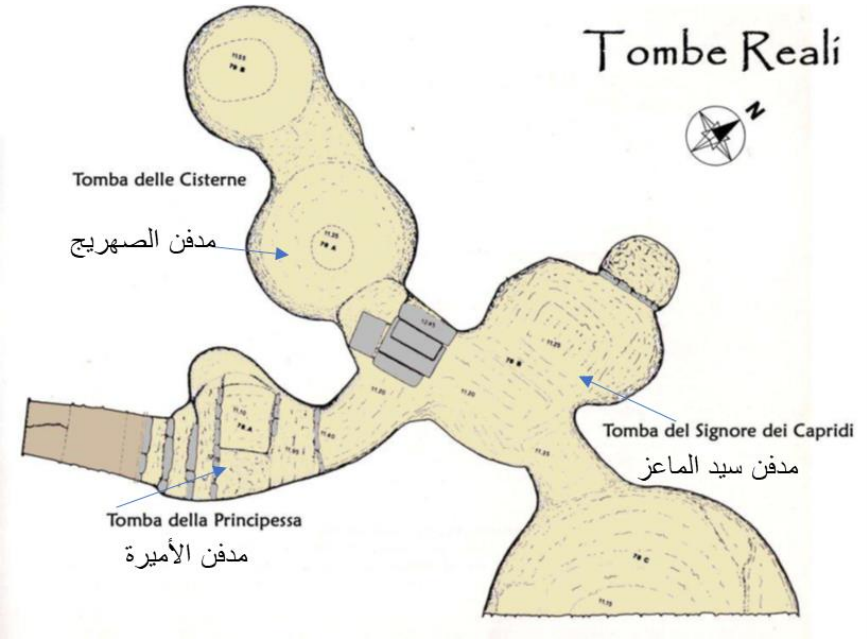

صورة رقم ٩: مخطط المدفن الملكي في ايبلا: Matthiae 1979-1980: 99

لم يقتصر هذا النّمط من المدافن في إيبلا على العائلة المالكة فقط، بل كان أيضاً لبعض الشّخصيات المهمّة في القصر، كالمدفن رقم (٨٦٨٠) والمسمّى أيضاً بمدفن الحدّاد (Tomb smith) و يعتقد أنّه لأحد الشخصيّات المهمة في القصر الملكي في إيبلا ، عثر على هذا المدفن بالقرب من القصر الجنوبيّ(صورة رقم ١٠) و قد أظهرت الدّراسة الطبوغرافيّة للقصر بأنّ للمدفن ارتباطه مع القصر من الجهة الشّمالية ومع مبنى آخر في الجنوب(Mogliazza and Polcaro 2010:442) ، والمدفن عبارة عن سرداب عمودي حفر في الأرض بعمق ثلاثة أمتار، تمّ تغطيّة المتر الأوّل من الجدران الداخليّة للعمود بأحجار كبيرة ومتوسّطة الحجم، بينما تمّ حفر المترين الآخرين مباشرة خلال الصّخر الجيري ، ومن ثمّ يتصل بنفق حفر في قاعدة العمود، وتمّ وصله مع صهريج أو خزان كمّثري الشّكل بارتفاع تقريباً ٧ أمتار وقطره ما يقرب من ٤ أمتار، وقد تمّ إغلاق هذا الخزّان بجدران

مبنيّة بحجارة كبيرة ذات شكل نصف دائري(Nigro, L. 2003:٣٥٠) (صورة رقم ١١) ، ومن ثم استخدم النفق والعمود للدفن. استخدم هذا المدفن كمدفن عائلي ضمّ الكثير من البقايا العظمية، والتي وضع معها عدد من الهدايا الجنائزيّة كالأواني المصريّة المستوردة، وبعض الحليّ والتي تدلّ على أنّ المدفن يعود لأحد كبار الموظفين في إيبلا.

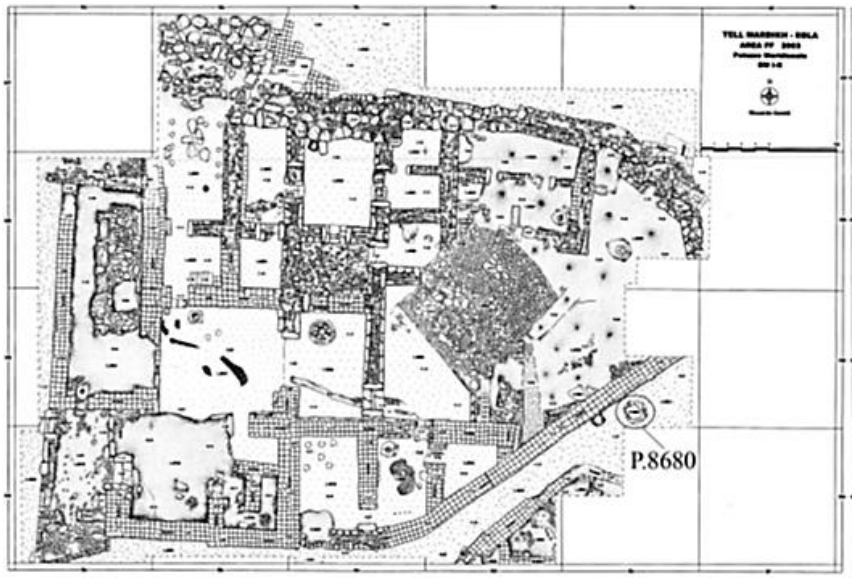

صورة رقم ١٠: مخطّط القصر الجنوبي في إيبلا مع توضيح مكان اكتشاف مدفن رقم (8680)Mogliazza, Polcaro2010

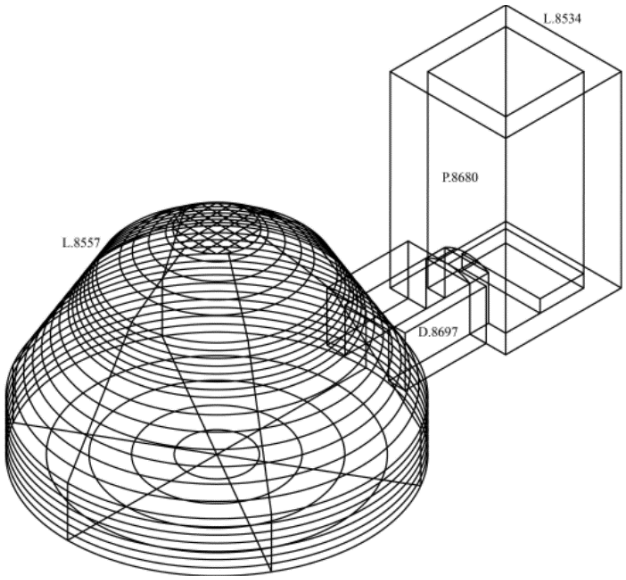

صورة رقم ١١: رسم ثلاثي الأبعاد يوضح تصميم مدفن رقم٨٦٨٠ في ايبلا Mogliazza, Polcaro2010

وفي مملكة قطنا (تل المشرفة) تقع المدافن الرئيسية في القسم الشّمالي من الموقع، حيث تمّ الكشف عن عدد من أنواع المدافن المؤرّخة بالعصر البرونزي الوسيط، ومن بينها:

مدفن رقم I: يقع ضمن منطقة المنحدر الجيري. ويؤرّخ إلى منتصف الألفيّة الثّانية قبل الميلاد (نهاية العصر البرونزي)، يتكوّن المدفن من مدخل، عبارة عن فتحة، يتمّ النّزول إلى المدفن بشكل عموديّ عبر ثلاث درجات، وقد تمّ تخطيط المدفن بشكل مستطيل، مكوّن من غرفتين متوازيتين(Du Mesnil Du Buisson 1927:153) (صورة رقم ١٢).

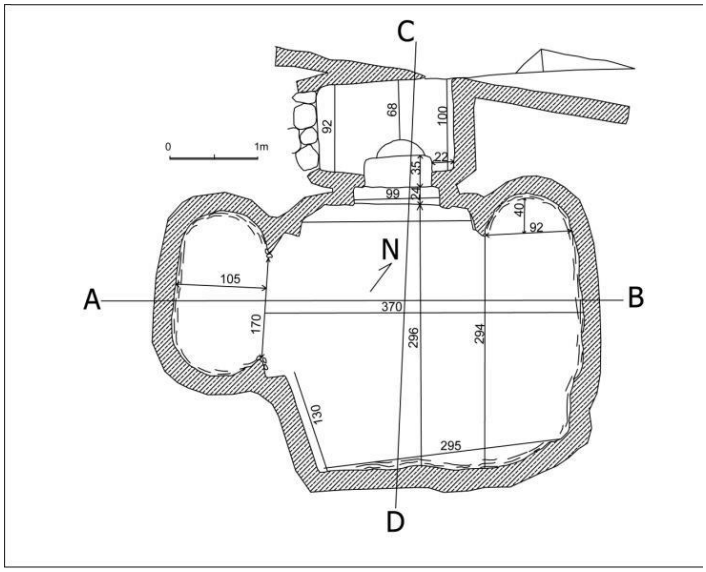

صورة رقم ١٢: مخطط مدخل المدفن I في قطناDu Mesnil Du Buisson 1927: 14. Pl.V

مدفن II: تمّ الكشف عنه في الجانب الشّمالي من الموقع، ويتكوّن من مدخل عموديّ منحوت في الصّخر، يليه ثلاث درجات تؤدّي إلى حجرة مستطيلة الشّكل، نحتت بشكل متقن، يبلغ عرضها من الجانب الغربي ١.٧٠م و١.٤٢م من الجانب الشّرقي بينما الطّول ٢.٢٠م (صورة رقم ١٣).

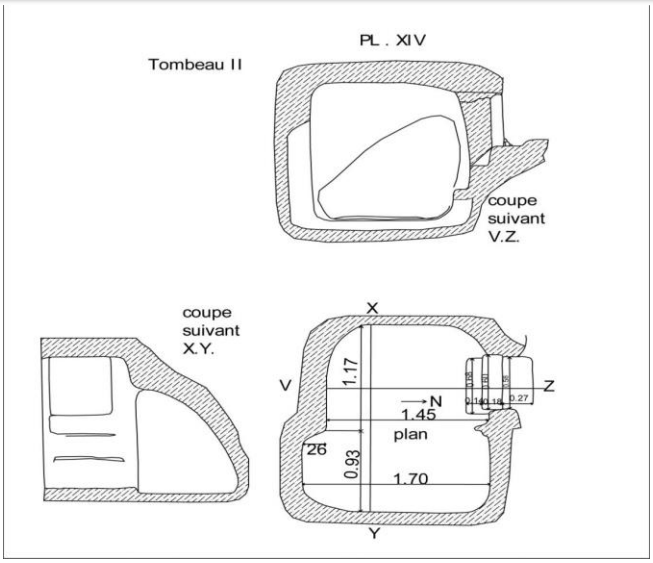

صورة رقم ١٣: مخطّط مدفنII قطناDu Mesnil Du Buisson 1927: 14. Pl.XIV

بالإضافة لمدافن الحجرات التي عثر عليها في القطاع الشّمالي، أيضاً ضمّ القصر الملكي مدافن منحوتة في الصّخر أسفل حجراته، ومن هذه المدافن:

المدفن رقم IIV: شيّد هذا المدفن أسفل القاعة الكبرى (DA) في الجناح الشّمالي الغربي للقصر الملكي(Pfälzner et al. 2011: 76-7) (صورة رقم ١٤)، يقع مدخل المدفن أسفل غرفة الانتظار ويتمّ النزول عبر باب محفور في الصّخر، يليه أربع درجات محفورة في الصّخر، ويتمّ الدخول إليه عبر مدخل عموديّ يؤدّي إلى حجرتين منحوتتين بشكل كامل من الصّخر، تبلغ أبعاد هذا المدفن ٤.٩٠× ٦.٣٠م (صورة رقم ١٥)، ضمّ هذا المدفن عدداً من المصابيح الفخّارية التي وضعت في كوّات ضمن الممرّ، ضمّ هذا المدفن بقايا ٥٠ فرداً، تمّ تكديسهم بعناية فوق بعضهم البعض ضمن صناديق خشبيّة بلغ عددها تقريبا١٦ صندوقاً، بالإضافة إلى العديد من قطع المجوهرات والأواني الحجريّة من جميع الأشكال والأحجام، وعددٌ من التماثيل العاجيّة والحجريّة(AL-Magdissi,M, (2005:.235.

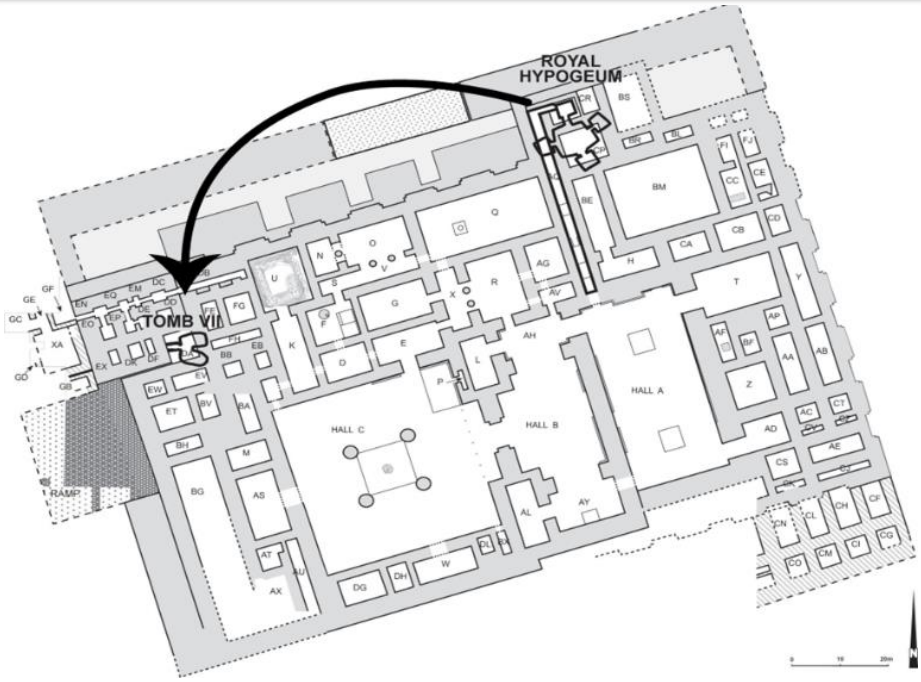

صورة رقم ١٤: مخطّط يبيّن أماكن تواجد المدافن أسفل القصر الملكيّ في قطنا.pfalzner,2007

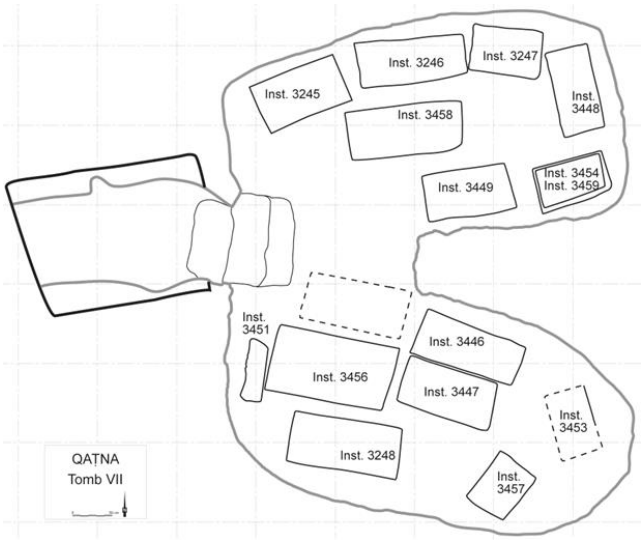

صورة رقم ١٥: مخطط المدفنIIV : Pfälzner, P. 2011.p.76, fig.7

المدفن الملكي: يُعد بنية جنائزيّة مهمة وقد أرّخ بين نهاية العصر البرونزي الوسيط وبداية العصر البرونزي الحديث ولهذا سوف يتم ذكره في هذا البحث، يقع المدفن تحت القسم الشّمالي من القصر الملكي، يتمّ الوصول إلى حجرات المدفن بواسطة دهليز تحت الأرض، وكان الوصول إلى الدهليز ممكناً من قاعة الاحتفالات (القاعة ا) في القصر الملكي(Pfälzne, Peter ,2007:233) ، الدهليز

مقبّب بطول ٤٠ مترًا يؤدّي إلى الغرفة الرئيسيّة المصمّمة بشكلٍ بسيط طولها ٨م، وعرضها ٦ م، يوجد في القسم الغربيّ من الحجرة صفّ من المقاعد الحجريّة التي وضعت بشكل محاذٍ للجدران ، يتفرّع من هذه الغرفة, ثلاثة غرف مربّعة الشّكل أصغر حجماً، الغرفة الجانبية الجنوبية: تقع قبالة المدخل الرئيسيّ للمدفن، أبعادها (٣.٨٠×٢.٨٠م) يصل عرض مدخلها إلى ما يقرب ١,٤٠م، الغرفة الجانبيّة الغربيّة: تقع هذه الحجرة إلى الغرب من الحجرة الرئيسيّة ويتمّ الوصول إليها عبر ممر منحوت بالصّخر يصل عرضه إلى ما يقرب من ١,١٠م، أقيم أمام الجدار الشّمالي لهذه الحجرة منضدة حجريّة(Pfälzner 2014: 145). الغرفة الجانبيّة الشرقيّة: يتمّ الوصول إليها عبر ممرّ من الحجرة الرّئيسة (صورة رقم ١٦)، وقد ضمّت مجموعة كبيرة من العظام البشريّة والحيوانيّة.

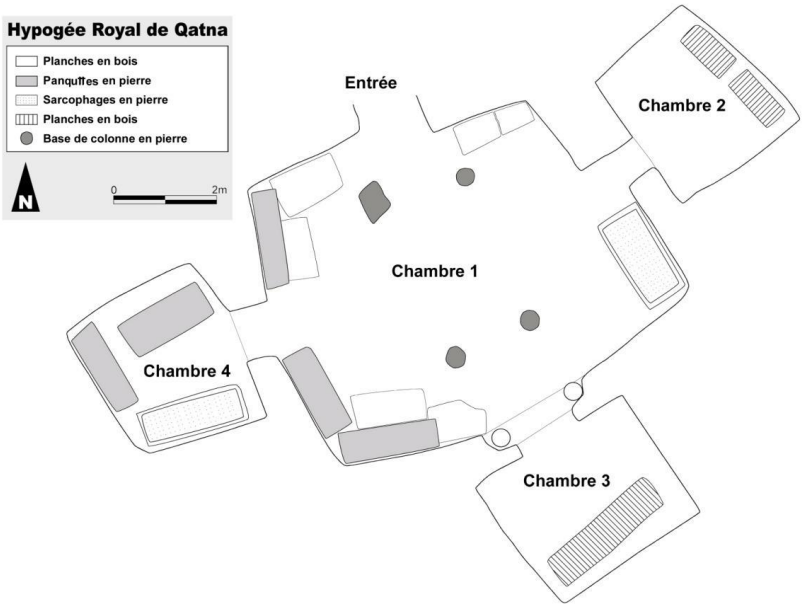

صورة رقم ١٦: مخطّط المدفن الملكي في قطنا: Al –Maqdissi and Morandi Bonacossi 2005:71

الدراسة التحليلية:

تظهر لنا دراسة حجرات الدّفن خلال عصر البرونز الوسيط عن وجود تفكير مسبق في كيفيّة تشييد وتصميم هذه المدافن، فبالنسبة لمدافن الحجرات المبنيّة فقد تنوّعت ما بين الشكل المستطيل (أوغاريت وتل دان ومجيدّو) بينما استخدم الشّكل المربّع في المدافن المنحوتة في الصّخر كما في (آلالاخ وقطنا) بالإضافة إلى غرف بأشكال غير محدّدة، وذلك بسبب طبيعة الصّخور كما في

تلّ (قطنا). وكانت الأسقف عبارة عن أسقف مسطّحة مبنيّة من الحجارة ومغطّاة ببلاطات حجريّة (كأوغاريت وآلالاخ وتلّ دان) والبعض الآخر مقبّبة (كما في تلّ تويني).

بالنسبة للمدخل فإن السّمة المميّزة لتصميم المدخل لمدافن الحجرات المنحوتة في الصّخر، هو المدخل العمودي الذي يؤدّي إلى حجرة الدفن، وكذلك طريقة الحفر وتخطيط الحجرات فهي تتشابه في كلٍّ من إيبلا وقطنا وموقع دان. كما استخدمت المداخل المباشرة كما في(أوغاريت) أو الممر الأفقي أو المنحدر، أو السلالم (آلالاخ وقطنا وإيبلا).

غالباً ما كانت المدافن الجماعيّة مبنيّة بدون ممرّات، وذلك لأنها تتكوّن من حجرة واحدة فقط كما في أوغاريت وآلالاخ، بينما يوجد ممرّ بين الغرفتين في المقبرة (G4 في إيبلا). أمّا بالنسبة للمقابر المنحوتة في الصّخر نجد الممرّات تربط بين حجرات الدّفن في إيبلا، بينما المقبرة الملكيّة في المشرفة فقد استخدمت الغرفة الرئيسية كرواق يؤدّي إلى غرف الدّفن الثّلاث.

ضمّت جدران هذه الحجرات عدداً كبيراً من الكوّات أو الأرفف لوضع المصابيح داخل حجرة الدّفن كما في أوغاريت وتلّ تيوني، وهذا يؤكّد أنّ إضاءة المصابيح وإطفاءها كانا جانباً مهمّاً في مراحل متعدّدة في أثناء ممارسة الطقوس الجنائزية خلال عصر البرونز الوسيط وليست فقط لتوفير الإضاءة.

كما يعطينا الاختلاف الواضح بين تصميم مدافن الحجرت في كل من تل تويني وتل دان وأوغاريت، والتي جاءت عبارة عن غرفة مفردة فقط والمدافن الملكية في كلٍّ من إيبلا وقطنا، والتي تميزت بتقسيمها لمجموعة من الحجرات المتشعبة على الوضع الاجتماعي للأفراد والعائلة الحاكمة في هذه الممالك خلال العصر البرونزي الوسيط.

النتائج:

مدافن الحجرات خلال العصر البرونزيّ الوسيط في بلاد الشام هي انعكاس للقيمة الثقافيّة التي يحتفظ بها المجتمع تجاه شخصيّات معيّنة فلم يكن الدّفن ضمن هذه الحجرات عشوائيّاً، فهي تحقّق التّفاعل بين الأحياء والأموات من خلال معالجة الجثث وإقامة النّصب

الجنائزيّة، وتحديد أماكن الموتى داخل غرف المعيشة المأهولة، وإعادة زيارة مواقع القبور لإيداع القرابين أو التّعامل مع الرّفات البشريّة، في المدافن السكنيّة والقصور.

فهذه المدافن ما هي إلّا نوع من المنشأت الجنائزيّة المرتبطة برعاية الموتى بشكل مستمرّ من خلال تقديم القرابين، وإقامة الطّقوس الخاصّة بها، حيث ظهر ذلك من التّراكم الكثيف للرماد وبقايا عظام الحيوانات في هذه المدافن بالإضافة إلى إعادة تجميع الهياكل العظميّة، ووضعها فوق بعضها البعض بعناية كما في قطنا وآلالاخ.

يمكننا القول إن تشييد حجرات الدّفن تحت أرضيّات المنازل والقصور خلال العصر البرونزي الوسيط يشير إلى فكرة أساسيّة كانت سائدة بين سكّان المنطقة بشكل عام، وهي طقوس تبجيل الأسلاف، إذ ارتبط هذا النوع من المدافن ببعض الطّقوس التي كانت منتشرة في بلاد الشّام وبلاد الرّافدين ومنها طقس (Kispu) وكان الكيسبو طقساً يتمّ فيه تقديم الطّعام والشّراب لأرواح الموتى للحصول على قوّتهم. ولأسباب متنوعة:

أولاً: كانت هناك مسؤولية الأسرة عن رعاية أفرادها المتوفّين، الذين كان ينظر إليهم على أنّهم ما زالوا بحاجة إلى احتياجات جسديّة.

ثانياً: كانت هناك مناسبات يُنظر فيها إلى أنّ بعض الأرواح غير ودّية وتسبّب في محن شخص معين، وبالتالي تمّ تنفيذ طقس الكيسبو لإطعام الرّوح وإشباعها حتّى تختفي.

ثالثاً: كانت أهم أشكال الكيسبو هي طقوس الكيسبو الملكيّة، حيث كانت هناك طقوس كيسبو منتظمة للملوك المتوفّين، تؤدى مرّتين في الشّهر، بالإضافة إلى طقوس خاصّة يتمّ إجراؤها على فترات غير منتظمة، والغرض الرّئيسي من هذه الطقوس هو تأمين بركة الأجداد للملك(Bayliss1973: 124-25) ، وعلى الرّغم من عدم وجود نصوص تعطي الطّقوس الكاملة للكيسبو، إلا أنّ بعض النّصوص تُشير إلى الأجزاء الأساسية منه: ١- التذرّع باسم (الموتى)، ٢- تقديم القرابين من الطّعام وهذا ما تضمّنته جميع حجرات المدافن خلال العصر البرونزي الوسيط، ٣- سكب الماء(Finkelstein 1966:115).

إذ تمّ ذكر ذلك في العديد من النّصوص ومنها رقيم فخّاري من أوغاريت مرقّم (RS34.126) تضمّن وصفاً لاحتفال الّدعاء والتّضحية للأجداد المتوفّين لجلب البركة للملك ولمدينة أوغاريت، ويعتقد (Moor, Johannes C) بأنّه يمثّل تقريراً رسمياً عن أداء

طقوس معيّنة، والتي يفهم منها أنّها طقوس سبعة أيام للموتى، وهي مرتبطة بطقوس كيسبو في بلاد الرّافدين (Moor, Johannes (C,1976, 323.

وبالتّالي يمكننا القول بأنّ مدافن الحجرات ماهي إلّا أحد الأدلة المهمّة على طبيعة المعتقدات المتعلّقة بالموت والآلهة وما بعد الحياة خلال العصر البرونزيّ الوسيط.

المراجع العربية:

- أبو عساف، علي، ١٩٨٨، آثار الممالك القديمة في سورية ٨٥٠٠ ق.م إلى ٥٣٥ ق.م، مطابع وزارة الثقافة، دمشق.
- كوفان، جاك ١٩٩٩، الألوهية والزراعة - ثورة الرموز في العصر النيوليتي، ترجمة موسى ديب الخوري، مراجعة وتقديم سلطان محيسن، منشورات وزارة الثقافة، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق.
- مرعي، عيد، ٢٠١٠، تاريخ سورية القديم ٣٠٠٠-٣٣٣ ق.م، دمشق.

References:

- Al-Maqdissi. M and D. Morandi Bonacossi, 2005, the Metropolis of the Orontes. Art and Archaeology from the Ancient Kingdom of Qatna.
- Bayliss, Miranda 1973 The Cult of Dead Kin in Assyria andand Babylonia Iraq 35: 115-25.
- Bretschneider J., M. Al-Maqdissi, K. Vansteenhuyse, J. Driessen & K. Van Lerberghe,٢٠٠٤, Tell Tweini, Ancient Gabala, in the Bronze Age, in: *Ägypten und Levante* XIV, 2004, 224-225.
- Du Mesnii, Du Buisson, R, 1928, L'ancienne Qatna ou les ruines d'el-Mishrife au N-E. de Homs (Emese). Deuxieme Campagne de foullies(1927). 3 article,Syria 11, 146-163.
- Ilan, D. 1995, Mortuary Practices at Tel Dan in the Middle Bronze Age: A Reflection of Canaanite Society and Idelogy. In: Campbell S. and Green A. (eds.), The Archaeology of Death in the Ancient Near East, Oxford: Oxbow Books, pp.117-139.
- Finkelstein, J. J. 1966 The Genealogy of the Hammurapi Dynasty. Journal of Cuneiform Studies 20: 95-1
- Finkelstein, David Ussishkin, and Eric H. Cline, editors 2013 Megiddo V: The 2004-2008 Seasons. Monograph Series of the Sonia and Marco Nadler Institute of Archaeology 31. Eisenbrauns, Winona Lake, Indiana.

- H. Hameeuw, 2008, Living with the dead. Tell Tweini: Middle Bronze Age tombs in an urban context, in 5th International Congress on the Archaeology of the Ancient Near East V Congreso Internacional de Arqueología del Oriente Próximo Antiguo, voll ii,2006, 143-150.
- Homsher, Robert S.2012 Mud Bricks and the Process of Construction in the Middle Bronze Age Southern Levant. Bulletin of the American Schools of Oriental Research 368:1-27.
- Loud, Gordon١٩٤٨ , Megiddo II. Seasons of 1935-1939. Text and Plates. Oriental Institute Publications 62. The University of Chicago Press.
- Matthiae, P. 1984, New Discoveries at Ebla: The Excavations of the Western Palace and the Royal Necropolis of the Amorite Period. Biblicale Archaeologist, 47, p. 18-32.
- Martin, Mario A.S. and Melissa S. Cradic 2018 Area K: Tomb 100. In Megiddo VI: the 2010-2014 Seasons, Mario A.S. Martin, and Matthew J. Adams. Sonia and Marco Nadler Institute of Archaeology.
- Mogliazza, S., Polcaro, A. 2010 Death and Cult of Dead in Middle Bronze Age II Ebla: An Archaeological and Anthropological Study on Shaft Tomb P.8680, near Southern Palace (Area FF): in P. Matthiae, N. Marchetti, L. Nigro, F. Pinnock (eds), *Proceedings of the 6th International Congress on the Archaeology of the Ancient Near East (May, 5th - 10th 2009, "Sapienza" Università di Roma)*, Volume III, Wiesbaden, 431-445.
- Moor, Johannes C. de 1976 Rdpii-ima--Rephaim. Zeitschrift fiir die alttesta- mentliche Wissenschaft 88: 323-45.
- Nigro, L. 2003, the Smith and the King of Ebla. Tell el-Yahudiyeh Ware, Metallic Wares and the Ceramic Chronology of Middle Bronze Syria, in: M. Bietak (ed.), The Synchronisation of Civilisations in the Eastern Mediterranean in the Second Millennium BC., Vienna, 345-363.
- Schaeffer, C. F.-A. 1939a. *Ugaritica*, P. Guethner.
- Pfälzne,Peter, 2007, Archaeological Investigations in the Royal Palace of Qatna,Originalveroffentlichung In: D. Morndi Bonacossi(Hrsg), Urbn and Natural

Landscapes of an Ancient Syrian Capital. Settlement and Environment at Tell Mishrifeh/Qatna and in Central-Western Syria. Proceedings of the Intemational Conference held in Udine 9-11 December 2005, Studi Archeological su Qatna 1, Udine 2007, S.29-64.

- Pfälzner, Peter. And Dohmann-Pfälzner, H. et al 2011, Eine neu entdeckte Grabalage unter dem Königspalast von Qatna, MDOG 143, PP. 63-139.
- Pfälzner, Peter 2014 Royal Funerary Practices and Inter-Regional Contacts in the Middle Bronze Age Levant: New Evidence from Qatna. In Contextualising Grave Inventories in the Ancient Near East. Proceedings of a Workshop at the London 7th ICAANE in April 2010 and in International Symposium in Tübingen in November 2010, Both Organised by the Tübingen Post-Graduate School "Symbols of the Dead", edited by Peter Pfälzner, Herbert Niehr, Ernst Pernicka, Sarah Lange and Tina Köster, pp. 141-156. Harrassowitz Verlag, Wiesbaden.
- Salles, J.-F. 1995. Rituel mortuaire et rituel social à Ras Shamra/Ougarit. OXBOW MONOGRAPH, 171-184.
- Teba, T., & Theodossopoulos, D. (2015). Keeping the fathers alive: The conservation of funeral architecture in Ugarit. In *REHAB 2015* http://greenlines-institute.org/en/products/publications/rehab-2015-proceedings-of-the-2nd-international-conference-on-preservation-maintenance-and-rehabilitation-of-historical-buildings-and-structures.
- Yilmaz, D. 2006. Burial Customs of the Chamber Tombs in Southeast Anatolia during the Early Bronze Age. Anatolia, 31, 71-90.
- Orthmann, W. and Pruss, A. 1995. Der Palast F. In W. Orthmann, R. Hempelmann, C. Kühne, M. Novak, A. Pruß, E. Vila, H-M. Weicken and A. Wener (eds.), Ausgrabungen in Tell Chuēra in Nordost-Syrien I. Vorbericht über die Grabungskampagnen 1986 bis 1992 (Vorderasiatische Forschungen der Max Freiherr von Oppenheim-Stiftung Band 2), 121-172. Saarbrücken.
- Wachsmann, S. 1987. Aegeans in the Theban Tombs (Orientalia Lovaniensia Analecta 20). Leuven:Peeters.
- Woolley, Leonard. 1953. Reports of the Research Committee Society of Antiquaries of London, Alalakh, An Account of the Excavation at Tell Atchana, No. XVIII.